د. يوسف بن نصرة الله محمد، استراتيجية الإبادة بالمعارك المتعاقبة في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، العدد الأول: ١١٧- ١٤٤

استراتيجية الإبادة بالمعارك المتعاقبة في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م

د. يوسف بن نصرة الله محمد

جامعة طيبة – السعودية

الملخص:

تُعد معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة والخالدة في التاريخ، إذ حوت على سبع انتصارات في معركة واحدة، وأوقفت معركة عين جالوت الزحف المغولي على مصر وباقي الأراضي الإسلامية غرباً، كما كشفت معركة عين جالوت التكتيكات[1] العسكرية لكلا الطرفين، وتفوق الجيش الإسلامي في سرعة التنفيذ ودقة الإنجاز. ومن دواعي دراسة الموضوع الراهن ما أحدثه المغول من نشر للرعب في قلوب المسلمين قبل وبعد سقوط بغداد، ونزوحهم من الشام إلى مصر، وشجاعة السلطان قطز في مواجهة الحرب النفسية للمغول، فضلا عن أهمية دراسة الخطط الاستراتيجية العسكرية للسلطان قطز في تحقيق النصر. ومن ثم فإن الدراسة تهدف إلى الوقوف على التكتيكات العسكرية أثناء المعركة، وإلقاء الضوء على آثار معركة عين جالوت، بالإضافة إلى محاولة التركيز على دراسة الاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية لكلا الفريقين، والوقوف على أهم الخطط العسكرية للسلطان قطز.

الكلمات المفتاحية: عين جالوت؛ المماليك؛ المغول؛ استراتيجية المعركة؛ التكتيكات العسكرية؛ الإبادة؛ المعارك المتعاقبة.

Strategy of extermination in successive battlesStrategy of extermination in successive battles in ‘Ayn Jālūt 658 AH/1260 AD

Yūssuf N. Muḥammad
Taiba University, Saudi Arabia
myousef@hotmail.com

The battle of ‘Ayn Jālūt is one of the decisive battles in history, as it consists of seven victories in one battle, as it stopped the Mongols' advance over Egypt and the rest of the Islamic lands. It also revealed the military tactics of the two parties and the ability of the Islamic Army to speed implementation and accuracy of achievement. One of the reasons for studying the current issue is that the psychological war waged by the Mongols by spreading terror in the hearts of Muslims before and after the fall of Baghdad was confronted with courage from Sultan Quṭṭuz, as well as the importance of studying the military strategic plans of Quṭṭuz in achieving victory. The study aims to identify the military tactics during the battle, and to shed light on their effects.

Keywords: ‘Ayn Jālūt; Mamluks; Mongols; battle strategy; military tactics; extermination; successive battles.

المقدمة:

مرت الدولة العباسية مرت بمرحلة ضعف وتفكك أودى بها إلى السقوط على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ثم زحف المغول إلى الشام وسيطروا على عدة مواقع بعد استيلائهم على دمشق، وعم الرعب والذعر بين المسلمين؛ لأنهم استخدموا أبشع أنواع القتل والتدمير في بغداد والشام. وكانت المرحلة التالية للمغول هي مصر التي كانت بمثابة آخر الصعوبات القتالية والمنفذ لقارة أوربا عبر الأندلس من شمال أفريقيا.

وكانت الأوضاع السياسية في مصر مضطربة آنذاك، فقد كان قادة المماليك يتنافسون على الحكم، وكان أولئك القادة قد تميزوا بمعرفتهم وخبرتهم الطويلة في فنون الحرب والقتال وإدارة المعارك، كما تمرسوا في المعارك الاستراتيجية[٢] التي تعتمد على مبادئ الحرب في الحروب الصليبية.

ورغم أن صيت همجية القتل والقتال عند المغول التي أرعبت المسلمين وما صحبه من أهوال، إلا أن قوة جيش المماليك وعزيمة السلطان قطز وقائد الاستطلاع[٣] الظاهر بيبرس تغلبت ودحرت جيش المغول في معركة عين جالوت وأوقفت زحفهم بفضل الله ﷻ. وكانت آثار الخطط العسكرية التي عقدها السلطان قطز في مجالس الحرب قد حققت الأهداف العسكرية والسياسية والأمنية في المنطقة لاسيما تجاه الصليبيين العدو القديم للمسلمين.

وتُعد معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة والخالدة في التاريخ، إذ حوت على سبع انتصارات في معركة واحدة، وأوقفت معركة عين جالوت الزحف المغولي على مصر وباقي الأراضي الإسلامية غرباً، كما كشفت معركة عين جالوت التكتيكات العسكرية لكلا الطرفين، وتفوق الجيش الإسلامي في سرعة التنفيذ ودقت الإنجاز. ومن دواعي دراسة الموضوع الراهن ما أحدثه المغول من نشر للرعب في قلوب المسلمين قبل وبعد سقوط بغداد، ونزوحهم من الشام إلى مصر، وشجاعة السلطان قطز في مواجهة الحرب النفسية للمغول، فضلاً عن أهمية دراسة الخطط الاستراتيجية العسكرية للسلطان قطز في تحقيق النصر. ومن ثم فإن الدراسة تهدف إلى الوقوف على التكتيكات العسكرية أثناء المعركة، وإلقاء الضوء على آثار معركة عين جالوت، بالإضافة إلى محاولة التركيز على دراسة

الاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية لكلا الفريقين، والوقوف على أهم الخطط العسكرية للسلطان قطز.

ويجدر بنا أولاً عرض الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد الشام ومصر فقد غير مستقرة بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م على يد المغول، وبلاد الشام هي المرحلة القادمة لاقتحام جيش المغول. وقد انقسمت المدن الشامية إلى قسمين؛ قسم أعلن الولاء والتبعية لهولاكو، وقسم أعلن المواجهة وعدم الاستسلام[٤].

وقد بدأ الغزو المغولي لبلاد الشام في رمضان ٦٥٧هـ/ سبتمبر ١٢٥٩م على الجزيرة، فاستولى هولاكو على آمد[٥] ونصبين[٦] في ديار بكر، وخضعت له حران[٧] والرُّها، ثم استولى على البيرة وحلب، وسلمت حمص وحماة، وسقطت دمشق بعد فرار صاحبها الناصر يوسف الأيوبي، ثم توجه هولاكو إلى بعلبك وبانياس[٨]، وأسعر البلاد حربًا وقتلاً ونهبًا، ثم استولى على ماردين وغزة، كما سقطت الصبيبة وبانياس[٩]. ويوجز مؤرخ المغول المعاصر ذلك بقوله: "وقصارى القول أنه خلال مدة وجيزة تم الاستيلاء على بغداد وديار بكر وديار ربيعة والشام بأسرها.. وفتحت ممالك الروم"[١٠]. ومن الجدير بالذكر أن سقوط المدن الشامية كان بتعاون وتحالف مغولي صليبي بمساندة ملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول[١١] وبوهميوند السادس[١٢] أمير أنطاكية وطرابلس[١٣].

ولم تكن الأوضاع السياسية في مصر بأحسن حالاً من الشام، ففي ربيع الأول ٦٥٥هـ/ أبريل ١٢٥٧م دبرت شجر الدر مؤامرة لقتل زوجها السلطان عز الدين أيبك، الأمر الذي أغضب عليها مماليك السلطان؛ فقتلوها بعد شهر في نفس السنة. واعتلى السلطة علي بن أيبك[١٤]، وكان في الخامسة من عمره. وعندما وصل المغول إلى بلاد الشام عُزل الطفل، وتولى الحكم السلطان المظفر قطز[١٥] لمواجهة التطورات الجديدة. وعلى أية حال فقد كانت حوادث القتل سببا في الفرقة بين أمراء المماليك؛ فهرب أمراء المماليك إلى بلاد الشام وعلى رأسهم الظاهر بيبرس البندقداري[١٦].

المبحث الأول

الموقع الجغرافي ودوافع المعركة

تقع عين جالوت في الجهة الشمالية الغربية من مدينة بيسان على بعد عشرة كيلومترات من نهر الجالود، وفي المنتصف بين قرية زرعين وقرية نورس، وهي بلدة تقع بين مدينة بيسان ونابلس في فلسطين[١٧]. أما عن دوافع المعركة؛ فمن جهة المسلمين الدفاع عن البلاد المصرية، ومواجهة وإيقاف الزحف المغولي[١٨]. ومن جهة المغول القضاء على بلاد مصر آخر منطقة تركّز المسلمين، والانتقام لمقتل الرسل[١٩].

الاستعدادات العسكرية:

أرسل هولاكو –قبل عودته إلى دياره– رسولاً مغوليًّا ومعه أربعين شخص يحمل رسالة[٢٠] إلى السلطان قطز اشتملت على التخويف والتهديد والوعيد والإذعان بالتسليم. وكانت الرسالة جزءً من الحرب النفسية[٢١] التي استخدمها هولاكو مع السلطان قطز للتأثير في معنوياته. ثم عقد السلطان قطز مجلس حرب للنظر في محتوى رسالة هولاكو، واستشار أصحاب الرأي والقادة والأمراء في معالجة الموقف وكيفية الرد على الرسالة، واستمع إلى الجميع وتناقش معهم واختلفوا، وقال لمن حوله: " إن الرأي عندي أن نتوجه جميعًا للقتال، فإذا ظفرنا فهو المراد، وإلا فلن نكون ملومين أمام الخلق"[٢٢]. ومن النص يتبين لنا أن قطز هو الذي حدد موقع المعركة بالخروج من مصر لقتال المغول في بلاد الشام، فلو حلت الهزيمة فهناك فرصة أخرى للدفاع عن مصر، وإذا كان النصر فقد تحقق الهدف.

وانتهى الأمر بقتل الرسل[٢٣] وتعليق رؤوسهم على باب زويلة[٢٤]، والنداء للجهاد. ثم توجه السلطان قطز ومعه جمع من الأمراء إلى الصالحية[٢٥] لحشد الجند[٢٦]، وأخذ في جمع العساكر من كل النواحي، ونادى بجمع الأموال والتبرعات. كما استخدم كل الوسائل لاستثارة حماس المسلمين في مصر والشام للنفير والجهاد في سبيل الله، رغم غياب الخلافة الشرعية وسقوطها في بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. واجتمع عنده جموع من الخوارزمية، ومن هرب من الشام، وأعراب الشرقية والغربية في مصر. وبدأ بجمع الأموال اللازمة من الأمراء والأغنياء وكافة المسلمين[٢٧]. ثم خطب في الجند وبث فيهم الروح المعنوية [٢٨]، وبين لهم الهدف من الجهاد[٢٩]، وأهمية العقيدة العسكرية الإسلامية، وقال لهم في النهاية: "أنا ألقى المغول

بنفسي". وسار الجميع خلفه صوب عين جالوت[٣٠].

وبهذا فقد أوضح السلطان قطز استراتيجية الهجمات الاستباقية[٣١]، وكان هدفه إبعاد خطر المغول عن مصر. وبإعلان الخروج وقتل رسل هولاكو بدأ قطز بالحرب النفسية تجاه المغول، إذ لم يعهد جيش المغول منذ سنوات طويلة في أثناء اجتياحهم لبلاد المسلمين أن يخرج المسلمون إليهم، وكان وضع المسلمين الدفاع أو الاستسلام، وخروج جيش المماليك كان مفاجأة للمغول مما أثر ذلك على نفسية القائد كيتو بوقا نويان[٣٢] الذي تهور كثيرًا في أثناء المعركة.

ويمكن القول بأن مبادرة السلطان قطز من أهم شروط النجاح لكسب الحرب، فالانطلاق لطلب العدو هو العمل الغالب في كل حرب، والمهاجم هو الذي يفرض على الخصم رؤيته متى وكيف شاء؟ والسلطان قطز درس معارك المغول السابقة، ولاحظ أن معظم انتصاراتهم تعتمد على الحرب النفسية، والهجوم على الخصوم داخل حصونهم أو مدنهم؛ لذا كانت استراتيجية الهجمات الاستباقية عند قطز العسكرية تعتمد على المبادرة والخروج لملاقاة المغول والاعتماد على الهجوم المباشر.[٣٣] وعلى أية حال فإن لكل معركة تخطيط عسكري، ويعتمد التخطيط على مبادئ الحرب التي تقوم عليها الاستراتيجية العسكرية، ومعركة عين جالوت حوت الكثير من مبادئ الحرب[٣٤] ومن أهمها:

١. الهدف	٢. الحشد	٣. الروح المعنوية
٤. التعاون.	٥. الاقتصاد في القوى	٦. الأمن والسرية
٧. المناورة (خفة الحركة)	٨. المفاجأة	٩. القيادة والسيطرة

اختيار المكان والزمان المناسبين:

اختار السلطان قطز المكان والزمان المناسبين للمعركة بعناية فائقة، فخرج من مصر يريد عين جالوت. ويبدو أن اختيار المكان كان بمشاورة القادة وبسرية تامة؛ ولذا كلف قائده بيبرس بمهمة استطلاع[٣٥] المكان، ومن الأسباب العسكرية لاختيار المكان: رغبة السلطان قطر في نقل المعركة إلى أرض العدو ليؤمن لجيشه خط الرجعة إذا حلت الهزيمة، ولكون عين جالوت منطقة سهلية فسيحة يعلوها جبل، وهذا يجعل المعركة مكشوفة ويسهل إدارتها. هذا فضلا عن أن الجبل المحيط بعين جالوت يساعد الرماة في سهولة اقتناص

وتصويب السهام تجاه العدو مباشرة وتشتيتهم، كما أن عين جالوت هي المكان الأقرب لكل الجموع الهاربة من بلاد الشام، وهذه الجموع تريد الجهاد في سبيل الله والنيل من المغول ومن ثم العودة لديارهم، وموقعها يكشف تحركات المغول، ويبطل عنصر المفاجأة الذي كان يعتمد عليه المغول في حروبهم ضد المسلمين.

وهكذا؛ كان اختيار موقع عين جالوت بمنزلة خط الدفاع الأول، أي يكون القتال خارج مصر فلو هُزم المسلمون في عين جالوت، ستكون هناك فرصة ثانية وخط دفاع ثانٍ وأخير للمسلمين في مصر، إضافة إلى إبعاد الرعية عن ويلات الحرب[٣٦]. أما بالنسبة إلى زمن المعركة، فقد استغل السلطان قطز كل الظروف الزمانية للمعركة، واختار شهر رمضان ٦٥٨هـ، الموافق آنذاك ليوليو ١٢٦٠م. وكان شديد الحر، وجيش المغول نشأ في المناطق الباردة ويفضل القتال في وقت الشتاء.[٣٧] ومن المعلوم أن القتال في وقت المناخ الحار ينهك الجسم سريعًا، ويزيد في توتر الأعصاب. فكان هذا الوقت يألفه جيش المسلمين ولا يطيقه جيش المغول. وأخيراً شهر رمضان بالنسبة للمسلمين شهر مبارك، يتضرعون فيه إلى الله بالدعاء وطلب النصر، ويأملون الإجابة من الله ﷻ.[٣٨]

المبحث الثاني
استراتيجية معركة عين جالوت والمعارك المتعاقبة

الاستطلاعات الحربية:

بدأت عملية الاستطلاع في شعبان ٦٥٨هـ/يوليو ١٢٦٠م بقيادة بيبرس البندقداري، الذي قاد فرقة من الجيش بتكليف من السلطان قطز. وكان هذا أول دور يقوم به بيبرس في هذه المعركة، ومهمته جمع معلومات عن العدو، ورصد تحركاتهم، وتأمين الطريق من المغول والفرنج. وكانت خطة جيش المسلمين أن تتحرك فرقة الاستطلاع أولاً، ثم يتحرك كامل الجيش بعد ذلك بفارق يوم أو يومين تقريبًا، لتكون مسيرة الجيش في أمن وسرية تامة من عيون المغول. وفعلاً حدث ما توقعه السلطان قطز، فقد أرسل بايدر[٣٩]، قائد حامية المغول في غزّة،[٤٠] إلى كيتو بوقا نويان يخبره بتحرك جيش المسلمين؛ وهي الفرقة التي اقتربت منه. وبادر بيبرس بالهجوم على بايدر؛ فهزمه وطارده حتى وصل إلى نهر العاصي[٤١]. وتأكد الخبر عند المغول بأن هذه الفرقة هي كل جيش المسلمين؛ مما يدل على ضعف الاستخبارات عند المغول. وكان هذا الانتصار الأول الذي تحقق على يد القائد بيبرس في غزة بمثابة دافع للروح المعنوية لكامل الجيش، والاجتهاد في الجهاد، وتشوقت النفوس لملاقاة المغول، وأخذ الثأر لقتلى المسلمين، وسقوط الخلافة العباسية[٤٢].

الكمين:[٤٣]

وصل السلطان قطز إلى السواحل الفلسطينية، ومنها إلى شمال فلسطين حتى وصل مدينة عكا[٤٤]، ثم توجه إلى الجنوب الشرقي، وسبق الجيش المغولي إلى عين جالوت، الذي مكنه من أن يفرض تحديد أرض المعركة، وإجبار الخصم على أن يقف في المكان الذي يرغب فيه. وبهذا رتب السلطان قطز جيشه، وجعل كامل الجيش في الكمين الذي نصبه لجيش المغول، وأخفى جيشه في التلال والأحراش[٤٥]. وكان القائد بيبرس في ذلك الوقت يراقب تحركات المغول من على الجبل الذي يعلو عين جالوت، فأرسل بيبرس إلى السلطان قطز يخبره بوصول كامل جيش المغول، ويحثه على انتهاز الفرصة. وقد استفاد جيش المسلمين من فرقة الاستطلاع، لأن بيبرس أبطل مفعول المفاجأة الذي يحرص عليه جيش المغول في حروبهم[٤٦].

الالتحام والتصادم:[٤٧]

وفي يوم الجمعة ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/٣ يوليو ١٢٦٠م تقابل الجيشان؛ جيش المغول ومقدمة الجيش الإسلامي بقيادة بيبرس البندقداري، الذي كلفه السلطان قطز بإنجاز هذه العملية العسكرية لكونه يثق بقدراته وذكائه الحربي، ويعلم بأنه يجيد التكتيك العسكري، ويجيد استدراج[٤٨] العدو للكمين، كما أنه أحسن في اختيار الأمراء والجند لهذه الفرقة؛ لأن من يحرز النصر في بداية المعركة سيحافظ عليه حتى النهاية. فوقف بيبرس أمام جيش المغول، وبدأ الهجوم والتحم الطرفان، وأظهر المسلمون صبرًا ومقاومة في المرحلة الأولى، مما حدا بقائد المغول كيتو بوقا نويان أن يدفع بكل قواته في القتال، ولم يُبقِ قوة احتياطية كظهير لجيشه؛ لأنه ظن أن مقدمة المسلمين هي كل الجيش.

ثم بدأ بيبرس بعملية الانسحاب[٤٩] بطريقة لم يشعر بها جند المغول، فقد كان يتراجع ببطء، ويقاوم ثم يتراجع، حتى دخل جيش المغول بكامله في سهل عين جالوت، ثم انسحب بيبرس إلى الجهة الجنوبية من السهل؛ ليستدرج المغول، إلى أن وصل إلى موقع الكمين دون أن يشعر جيش المغول أنهم يساقون إلى المعركة الحقيقية، وأما قائد المغول فأراد أن يحقق النصر السريع على هذه الفئة القليلة دون أن يحسب تطورات المعركة، فاستخدم كل طاقاته في محاولة للقضاء على كامل جيش المسلمين الذي أمامه، ولم يترك قوة احتياطية خلفه خارج السهل لتأمين خط العودة في حال الهزيمة، ويبدو أنه كان متيقنًا من النصر. وكان بيبرس يقاوم بشده، واستطاع أن يقوم بحرب الاستنزاف[٥٠] مما أفقد المغول الكثير من قوتهم في المرحلة الأولى من المعركة، وكان السلطان قطز يراقب سير المعركة إلى أن وقع كامل جيش المغول في الكمين، فأعطى إشارة بخروج باقي جيش المسلمين، فخرجوا من ثلاث جهات، ثم أغلقوا الجهة الرابعة وهو المدخل الشمالي، وصار جيش المغول في وسط جيش المسلمين، وأدرك قائد المغول كيتو بوقا أنه وقع في الكمين، ورأى جيش المسلمين قد أحكم عملية التطويق[٥١] على جيشه.

وبدأ الاشتباك[٥٢] واشتد الصراع بين الطرفين، وتساقط القتلى هنا وهناك، ثم بدأت ميمنة المغول تخترق ميسرة المسلمين واشتد الضغط عليهم، وتراجعت ميسرة المسلمين، وهنا لاحظ السلطان قطز اختراق جند المغول لميسرة جيش المسلمين، فدفع بقوة احتياطية[٥٣] تساند الميسرة، ولكن دون جدوى أمام قوة الضغط المتواصل من جيش المغول، فلم يجد أمامه إلا أن

ينزل بنفسه للمساندة، فأخذ قوة معه ونزل إلى أرض المعركة، وتوجه إلى ميسرة جيش المسلمين، ورمى بخوذته من على رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: (وا إسلاماه!)، وبدأ في القتال، فكانت كلمة السلطان المظفر قد رفعت الروح المعنوية وأعادت الثقة للجند، ولاسيما بعد أن رأى الجند ملكهم وهو يقاتل معهم ماشيًا وراكبًا، ثم رجحت كفة جيش المسلمين على المغول، وبدأ المسلمون بالضغط على عدوهم في كل صوب، مما نتج عنه مقتل قائدهم كيتو بوقا نويان وقتل عدد كبير من جيش المغول؛ مما أدى إلى تغير أوضاع المعركة؛ إذ أخذ جند المغول يبحثون عن مخرج من الطوق الذي يحيط بهم، وفُتح لهم منفذ للخروج، فما كان من جيش المغول إلا أنهم أخذوا في الهروب من ساحة القتال، وهنا أكثر المسلمون في قتل وأسر جند المغول، وانهزمت فلولهم، وكان هذا الانتصار الثاني، وهو الأقوى والأهم[٥٤].

الإبادة بالانتصارات المتعاقبة:[٥٥]

بدأت عملية المطاردة واللحاق بفلول جيش المغول المنهزم إلى أن وصلوا بيسان[٥٦] ووجدوا جيش المغول قد اصطف ثانية مع ما وصلهم من امدادات، وبدأ القتال وكانت قوة المغول أقوى من السابق، وقاتل المسلمون بشجاعة مع ملكهم قطز، وقاوم جند المغول هجوم جيش المسلمين بقوة، حتى أوشك رجحان كفة جند المغول، وهنا صرخ السلطان قطز ثانية: (وا إسلاماه! ثلاث مرات، يا الله انصر عبدك قطز على التتار)، وانكسر المغول ثانية، وتحقق النصر للمسلمين، وهرب من بقي من جند المغول وهذا هو الانتصار الثالث في بيسان[٥٧].

ثم بدأت عملية المطاردة ثانية، بأمر من السلطان قطز، بقيادة ركن الدين بيبرس للهاربين من جيش المغول، ولحق بهم عند حمص[٥٨]، وانتصر عليهم الانتصار الرابع. وعلم بيبرس بتجمع المغول في أفامية[٥٩]، وعندما وصل إليها، وجد جند المغول الفارين قد رتبوا صفوفهم؛ لمحاولة الانتقام من جيش المسلمين. وهذه المحاولة كانت آخر محاولات جيش المغول المستميتة للأخذ بثأرهم، واسترداد هيبتهم على أراضي بلاد المسلمين. والتحم الطرفان فكسرهم بيبرس كسرة شنيعة، وغنم المسلمون أموالاً طائلة، وخيولاً كثيرة. ويعتبر هذا هو الانتصار الخامس في أفامية يوم الجمعة ٢ شوال ٦٥٨هـ/١٠ يوليو ١٢٦٠م. ووصلت الأخبار بفرار مجموعة من المغول إلى حلب[٦٠]، فما كان من بيبرس إلا أن لحق بهم وقضى عليهم، وكان هذا الانتصار السادس، إلى أن وصل إلى حارم[٦١]، واستطاع أن يقتل عددًا منهم ويأسر آخرين، وهو الانتصار السابع. وكان هدف بيبرس من هذه المطاردة أن يدمر جيش المغول حتى

النهاية[٦٢]، وألا تقوم للمغول قائمة في بلاد المسلمين. وقد تحقق هذا الهدف الذي خطط له بيبرس من قبل؛ إذ حصلت عدة معارك بين المغول والمسلمين فيما بعد، ولكن المغول هُزموا وتعددت خسائرهم[٦٣].

وخلاصة القول أنَّ السلطان قطز وقائده الظاهر بيبرس تمكنا من تطوير العمليات العسكرية التي بدأت بالحرب الوقائية ثم تطورت إلى استراتيجية الإبادة. ومن خلال إدارة العمليات طبق المسلمون الإبادة بالمعارك المتعاقبة، التي استمرت مدة عشرة أيام تحققت فيها سبع انتصارات، إذ كان الاستعداد كافٍ والحشد قوي لكل مرحلة، وخفة الحركة متوفرة. وتميزت مراحل القتال بعد عين جالوت بأنها متلاحقة في المكان والزمان، ومرتبطة بعضها مع بعض. وأدت متابعة الجهد الهجومي في المطاردة دون توقف إلى الوصول إلى غرض استراتيجي واحد؛ وهو القضاء التام على العدو المتراجع.

وتُعد معركة عين جالوت من أهم المعارك التاريخية التي حققت الكثير من الأهداف، وحوت العديد من الدروس والعبر وغيَّرت مجرى التاريخ آنذاك -بفضل الله ﷻ- وقد أظهرت هذه المعركة كفاءة وخبرة قائد الاستطلاعات الظاهر بيبرس في كل الأدوار التي أوكلها له السلطان قطز.

أسباب النصر:

لم يكن من السهل هزيمة جيش المغول الذي امتلك العديد من المؤهلات، منها: ارتفاع معنوياتهم بسب الانتصارات السابقة، وخبرتهم وقدرتهم القتالية، والتفوق العددي وضخامة العدة، وخفة الحركة، وامتلاك الأرض التي استولوا عليها، وبراعة الإدارة. وربما جعلت هذه المميزات قائد المغول يرجح كفة النصر له دون أن يفكر في المفاجآت. ويمكن الوقوف على أهم الأسباب الجوهرية لانتصار المسلمين في هذه المعركة على النحو التالي:

أولاً: العقيدة العسكرية الإسلامية؛ فقد اهتم قطز بالمبررات الدينية والإنسانية والأخلاقية حتى عمّق وضوح الهدف في قلوب الجند، وغرس القيم الإيمانية المستمدة من العقيد الإسلامية. ولذا ظهرت الصورة واضحة في خطاب السلطان قطز ومن خلال مناقشته لأمور الحرب مع الأمراء والجند وعامة الناس[٦٤].

ثانياً: الروح المعنوية العالية التي غمرت قلب السلطان قطز رغم ظروف الهجوم المغولي والتدمير

العدواني الذي وصل إلى بلاد الشام؛ فأظهر قوة المسلمين وقدرتهم على دحر العدو. إذ بث في روح المقاتلين السعي نحو أحد الحسنيين؛ إما النصر أو الشهادة في سبيل الله، وحضهم على تنقية القلوب والتضرع لله والخروج لمواجهة العدو دون الخضوع والاستكانة للدفاع. وهكذا خرج الجيش الإسلامي، وأمام كل التحديات الخارجية، إلى عين جالوت بإيمان قوي وشعور بالاطمئنان وقرب النصر[٦٥]. قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة: آية ١٩٣.

ثالثاً: القيادة والسيطرة. إذ تميزت قيادة السلطان قطز بالعزم والهمة والتنفيذ الفوري؛ فبعد أن شُكّلت الخطط الاستراتيجية للمعركة، اختار بعض العلماء القادرين على الجهاد وعلى رأسهم القاضي العز بن عبدالسلام، ثم بادر بجمع القوات المسلحة، وأعلن موعد الخروج من مصر. وقاد الجيش بنفسه ليشرف على تنفيذ المخطط العسكري ويقاتل أمام جنده.[٦٦]

الآثار الايجابية للمعركة:

الأثر الديني:

أدرك المجتمع الإسلامي معادلة النصر، ومؤداها أن الانتصار على العدو لا يتم إلا بعد الرجوع إلى الله قال تعالى: ﴿**أَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ محمد: آية ٧.

وتحولت الروح المعنوية وعادت هيبة الإسلام والمسلمين، بدليل أن هولاكو، الذي كان في تبريز،[٦٧] لم يتجرأ على أن يخوض معركة ضد المسلمين، واكتفى فقط بإرسال حملة إلى حلب. وفي الجانب الآخر دخلت إحدى قبائل المغول، وهي قبيلة القفجاق،[٦٨] الإسلام، وعلى رأسهم بركة خان[٦٩].

الأثر السياسي والعسكري:

بهزيمة المغول وانكسارهم التام في معركة عين جالوت والمعارك المتعاقبة تفرغ المماليك للتخلص من الصليبيين في بلاد الشام، فظهر التحرك السياسي الكبير في عهد الظاهر

بيبرس، الذي استطاع أن يجبر ملوك الفرنج في بلاد الشام على قبول إرادته السياسية، ونجح في وفرض رأيه عليهم. وتجاوز الأمر ذلك؛ إذ استطاع أن يتحرك عسكريًّا وسياسيًّا في معظم أراضي الشام بين الإمارات الصليبية بحرية كاملة، واستطاع أن يحيّد البعض، ويقاتل الآخر، ويزرع الشقاق بينهم، ويجنّد من له مصلحة معه في خدمة المسلمين السياسية والعسكرية. واستطاع بيبرس أن يحرر الكثير من الأراضي والمدن لصالح بلاد المسلمين، وبذلك أفشل التحالف المغولي النصراني. كما استطاع الأشرف خليل بن قلاوون[٧٠] اسقاط عكا آخر المعاقل الصليبية سنة ٩٦٠هـ/١٢٩١م. ثم توالى سقوط باقي المدن مثل صيدا وبيروت وحيفا وطرطوس[٧١]. واستسلمت مدينة مرعش[٧٢] وبهنسا وتل حمدون –وهي من مدن مملكة أرمينية الصغرى– للأشرف خليل في السنة التالية مقابل عدم الهجوم عليهم.

ومن الآثار السياسية انهيار الدولة الأيوبية في الشام، ودخول آخر ملوكها تحت قيادة الدولة المملوكية. واتساع رقعة دولة المماليك، ووصول شرعيتهم إلى بلاد الحجاز وبادية الشام والنوبة والسودان الجنوبي وبرقة. كما فشلت كل المحاولات العسكرية للمغول في استعادة أراضي الشام، ومن أشهر المعارك؛ موقعة حمص الأولى والثانية، وموقعة شقحب وموقعة دمشق[٧٣].

الأثر العلمي:

عاد الوضع الطبيعي لقوة الإسلام بعد معركة عين جالوت، وزالت هموم المسلمين تجاه الرعب المغولي، فتوجه المسلمون إلى الاهتمام بالعلوم، ونشطت الحركة العلمية في مصر والشام، وأُنشئت الكثير من المدارس، وكثر طلاب العلم، وازدهرت الحياة العلمية[٧٤].

الأثر الاقتصادي:

عمّ الرخاء الاقتصادي نتيجة استرداد الكثير من أراضي بلاد الشام في عهد الظاهر بيبرس وقلاوون، وزادت الدخول على خزينة الدولة. ولا ننسى قوة المماليك في السيطرة الكاملة على الطرق التجارية البحرية، وفرض الرسوم الجمركية التي عززت القوة الاقتصادية للمماليك[٧٥].

الخاتمة:

تتبعت هذه الدراسة استراتيجية الإبادة بالمعارك المتعاقبة في معركة عين جالوت، وخلصت إلى النتائج التالية:

- تفكك عرى وحدة المسلمين بعد سقوط بغداد على يد المغول، الذين واصلوا هجومهم العسكري على بلاد الشام، الأمر الذي جنى منه المغول استسلام المدن المهمة في أيديهم، مثل: دمشق وحلب وحمص وغيرها.
- نجح السلطان قطز في استقطاب القادة العسكريين المماليك، وعلى رأسهم الظاهر بيبرس، الذي كان محور الارتكاز في سير المعركة حتى نهايتها.
- أهمية استراتيجية الوحدة الإسلامية التي نادى بها السلطان قطز في مواجهة جيش المغول وقيادته، ونجاح السلطان قطز في التوجه إلى العلماء والأخذ برأيهم وحثهم على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين، وتطبيق المعنى الحقيقي للجهاد.
- أهمية دور مجلس الحرب الذي عقده السلطان قطز، وفيه دُرست ونُوقشت كل الخطط العسكرية، ووُضعت الخطة الاستراتيجية العسكرية الكاملة للمعركة. وكان الاتفاق على نقل المعركة إلى أرض العدو من أهم الخطط، وهو ما يُعرف باستراتيجية الحرب الوقائية.
- كشفت الدراسة عن التنظيم العسكري في أثناء سير الجيش الإسلامي ومروره بأراضي الفرنج وإثارته الرعب في قلوبهم، وعدم قبوله أي مساعدات منهم.
- تميزت هذه المعركة بالدور الكبير الذي قامت به فرقة الاستطلاع بقيادة الظاهر بيبرس منذ بداية المعركة حتى نهايتها، وتحقيق الانتصارات الأربعة بفضل الله -عز وجل -، ثم بذكاء بيبرس الذي سعى لتدمير الجيش المغولي.
- دور السلطان قطز التكتيكي في أرض المعركة عندما كان ينادي "وا إسلاماه"، فجدد الروح المعنوية لدي المقاتلين الذين تحمسوا للقتال بقوة مضاعفة، والتحم في القتال مع جنده ضد العدو.

- أهمية المطاردة التي قام بها بيبرس لملاحقة المغول؛ لتحقيق التدمير الكامل للخصم في باقي المناطق الثلاثة التي تجمع فيها المغول من خلال تطبيق استراتيجية الإبادة حتى النهاية.
- وأخيرًا فإن عودة السلطة الشرعية والمسلمين إلى كتاب الله وسنة نبيه تُعدُّ من أهم أسباب النصر على الأعداء مهما بلغت قوتهم وأعدادهم.

خريطة توضح معارك الإبادة للسلطان قطز وقائده بيبرس

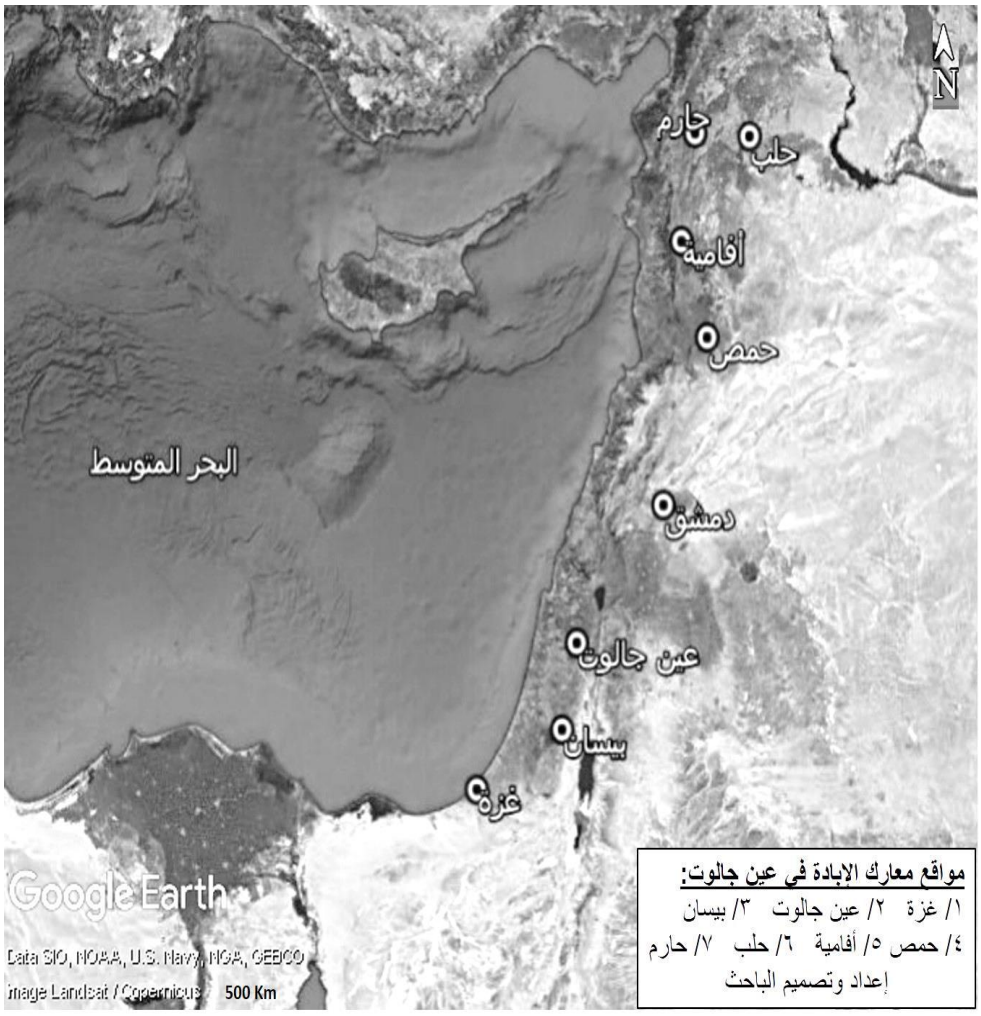

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- بيبرس الدوادار، الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي (ت٧٢٥هـ): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٤٢، تحقيق دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، ١٩٣٦م.
- ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري (ت٨٧٤هـ): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ابن حبيب الحلبي، الحسن بن عمر بن الحسن (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): درة الأسلاك في دولة الأتراك، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد العلائي (ت٦٥٩هـ/١٢٦١م): نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق د. سمير طباره، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- أبوشامة المقدسي، أبوالقاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٦٥ -١٢٦٧م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع – الذيل على الروضتين، ط٢، تحقيق محمد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٤٧م.
- ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (ت ٦٨٤هـ): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبارة، دار إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٨٨م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (ت ١٢٥٠هـ): نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.
- ابن عبدالظاهر، القاضي محيي الدين (ت ٦٩٢هـ): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (بيبرس البندقداري)، تحقيق د. عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- العُمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، تحقيق: دوروتيا كرافولسي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- أبو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.
- المقريزي، أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٦م.
- النويري، أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدائم القرشي التيمي البكري (ت٧٣٣هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣هـ.
- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م): جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.

ثانياً: المراجع العربية:

- أندريه بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي، ط٢، دار الطليعة، الرياض، ١٩٧٠م.
- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- حميدة سميسم: الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، (د.م)، ٢٠٠٤م.
- راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
- سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٨م.
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- عبدالله الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ.
- عبدالولي الشميري: الاستراتيجية العسكرية لعاصفة الصحراء، مطابع ستار برس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
- كارل فون كلاوزفيتز: عن الحرب، ترجمة سليم الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.
- كارل فون كلاوزفيتز: الوجيز في الحرب، ترجمة أكرم ديري، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٨م.
- محمد صفا: الحرب، ط٣، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- مسعود الخوند: الموسوعة الجغرافية التاريخية، مؤسسة هانياد، بيروت، ١٩٩٧م.
- منير شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن الحرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤٢٩هـ.
- يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

- يوسف إبراهيم السلوم: معجم المصطلحات العسكرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- يوسف نصرة الله محمد: استراتيجية الظاهر بيبرس في مقاومة الاستعمار الصليبي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ.

حواشي البحث

(١) التكتيك العسكري: مجموعة من القواعد التي تُستخدم لتحقيق التأليف الصحيح بين النار والحركة بغرض إحراز قوة التصادم المطلوبة. يوسف السلوم: معجم المصطلحات العسكرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص١٢١.

(٢) الاستراتيجية: أُشتقت كلمة (Strategy) من الكلمة اليونانية ستراتيجوس (strategos) بمعنى قائد. وعَرَّفها لويدل هارت بأنها: "فن القيادة والاقتصاد في القوة واحتساب وتنسيق الوسائل مع الهدف". والاستراتيجية تعني: "فن القيادة العامة في الحرب بأجمعها". وعَرَّفها كلاوزفيتز بأنها: "فن استخدام الاشتباك من أجل هدف الحرب"، وهي: "فن استخدام القوة للوصول إلى أهداف السياسة". يوسف إبراهيم السلوم: معجم المصطلحات العسكرية، ص١١٠؛ كارل فون كلاوزفيتز: عن الحرب، ترجمة سليم الإمامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٤٥؛ بوفر: مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية، ترجمة: أكرم ديري والهيثم الأيوبي، ط٢، دار الطليعة، الرياض، ١٩٧٠م، ص٢٨. ويمكن أن نعرفها بأنها: الخطط التي تهدف إلى تحقيق أهداف بعيدة المدى والوصول إلى أفضل النتائج.

(٣) الاستطلاع والطلائع: وتسمى الكشافة، هي الفرقة التي تسبق الجيش بمسافة، وتستكشف الطريق، وتستخدم الرصد البصري أو غير ذلك لجمع المعلومات وحماية الجيش والجوانب والمؤخرة. محمد صفا: الحرب، ط٣، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٥٣٤؛ سامي عوض: المصطلحات العسكرية، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٨ م، ص٣٠.

(٤) للمزيد عن هذا الانقسام انظر محمد بن علي بن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبارة، دار إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٨٨م.ص١٨٨.

(٥) مدينة آمد: في الإقليم الخامس، في ديار بكر، وهو بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السّود. فُتحت في سنة عشرين من الهجرة، وما زالت إلى اليوم بهذا الاسم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ، ج١، ص٥٦.

(٦) نصبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام، وهي على حدود تركيا اليوم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٨٨.

(٧) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وحاليا تقع جنوب شرق تركيا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

(٨) بانياس: مدين هامة في غرب سوريا على البحر المتوسط، جنوب مدينة اللاذقية على بعد ٣٠كم. عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مطبعة أوراق شرقية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٢٤.

(٩) أحمد بن علي المقريزي: السلوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٣١٥.

(١٠) رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ج١، ص٣٠٨.

(١١) هيثوم الأول: تزوج الملكة زابيل (Zabel) سنة ١٢٢٦م وبذلك وصل إلى الحكم. محمد زرقوق: مملكة أرمينيا الصغري، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠١٢م، ص٦٠.

(١٢) بوهميوند السادس: (١٢٥٢ -١٢٧٥م) تولى الحكم بعد وفاة والد بالتعاون مع الملك لويس التاسع. للمزيد انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، لبنان، ١٩٨٦م، ج١٣، ص٢٦٩.

(١٣) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ج٢، ص٨٩٠.

(١٤) علي بن أيبك التركماني الصالحي، نور الدين: (٦٤٥– بعد ٦٥٧هـ) ثاني ملوك دولة المماليك البحرية في مصر والشام. وُلي بعد مقتل أبيه (الملك المعز أيبك) سنة ٦٥٦ هـ وهو صغير، ولقّب بالمنصور، فقام بتدبير مملكته الأمير علم الدين سنجر الحلبي ثم الأمير سيف الدين قطز. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٤، ص٢٦٥. ويبدو أن هذه الظاهرة بدأت تنتشر من عصر الدولة الأيوبية، وهو نظام الحكم بالوارثة.

(١٥) سيف الدين قطز: هو السلطان المظفر قطز بن عبدالله المعزي الثالث من ملوك الترك في مصر، تولى السلطة بعد أن خلع ابن أستاذه الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك في ٦٥٧/١١/١٧هـ. يوسف بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، ١٩٣٦م، ج٧، ص٦٧.

(١٦) المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٠٧.

(١٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٧؛ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٦٦.

(١٨) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١٣.

(١٩) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١١.

(٢٠) لمعرفة نص الرسالة وأسباب عودة هولاكو انظر: الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٣١٠؛ السلوك: ج١، ص٥١٤؛ عبدالله الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ، ص١١١.

(٢١) الحرب النفسية: نوع من القتال النفسي للعدو؛ لتحطيم النواحي المعنوية له بجميع الوسائل؛ للقضاء على أي صورة من صور الثقة بالنفس التي قد تولد فيه المقاومة أو عدم الاستسلام. حميدة سميسم: الحرب النفسية، الدار الثقافية للنشر، (د.م)، ٢٠٠٤م، ص١٤.

(٢٢) الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١٢.

(٢٣) لم أقف على مستند شرعي يبيح لقطز القتل، وقتل الرسل محرم، والدليل ما رواه الإمام أحمد: حدثنا

يزيد أنبأنا المسعودي حدثني عاصم عن أبي وائل قال: قال: عبدالله حيث قتل ابن النواحة إن هذا وابن أثال كانا أتيا النبي ﷺ رسولين لمسيلمة الكذاب فقال لهما رسول الله ﷺ: أتشهدان أني رسول الله، قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال: لو كنت قاتلاً رسولاً لضربت أعناقكما...) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، ج٦، ص٢٤٠؛ وللمزيد انظر: محمد الشوكاني: نيل الأوطار، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ج٨، ص١٢٩.

(٢٤) باب زويلة: أحد أبواب القاهرة، وبجواره مسجد الصالح. عبدالرحمن السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٠٥.

(٢٥) الصالحية: قرية بناها الصالح نجم الدين أيوب لجنده في منطقة السانح على طرف المنطقة الرملية في الطريق بين مصر والشام، وفيها جامع وسوق؛ لتكون مركزًا للعساكر. المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٣.

(٢٦) الحشد: تجميع أكبر قدر ممكن من الجند والسلاح في المراكز للمعركة التكتيكية. السلوم: معجم المصطلحات العسكرية، ص١١٢.

(٢٧) كان للقاضي العز بن عبدالسلام دور مهم في جمع الأموال من السلطان قطز وباقي أمراء المماليك. للمزيد انظر: المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٠٧.

(٢٨) الروح المعنوية: من أهم العناصر في الحرب، فهي الروح التي تطبع الحرب بطابعها، وهي التي تفرض على نفسها مسبقاً على الارادة التي تحرك وتوجه كتلة القوات. كلاوزفيتز: الوجيز في الحرب، ترجمة أكرم ديري، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٧٨.

(٢٩) الهدف: يعني الغرض المادي من العمل المتخذ، وهو ضبط لخطة القائد. وكان هدف قطز هو الخروج لملاقاة المغول. عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص٤٣١.

(٣٠) عبدالرحمن بن إسماعيل (أبو شامة): الذيل على الروضتين، ط٢، تحقيق محمد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٤٧م، ص٢٠٧؛ محيي الدين بن عبدالظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبدالعزيز الخويطر، (د.ن)، الرياض، ١٣٩٦هـ، ص٦٣؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ج٤٢، تحقيق دونالد س. رتشاردز، الشركة المتحدة، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٦٩؛ السلوك: ج١، ص٥١٥؛ يوسف نصرة الله: استراتيجية الظاهر بيبرس في مقاومة الاستعمار الصليبي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ، ص٦٠.

(٣١) الحرب الاستباقية: هي الحرب التي تتضح فيها نية الغزو مع ظهور الخطر الحقيقي من العدو، ويكون انتظار الطرف الآخر خطراً عليه. حمدي الشريف: "نظرية الحرب العادلة"، مجلة مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٦م، ص١٢-١٣. وبين مفهوم الحرب الاستباقية والحرب الوقائية تشابه كبير، فالحرب الوقائية هي الحرب التي تشن على اعتقاد أن الصراع العسكري لا مناص منه تجاه العدو. عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص١٩٢.

(٣٢) كيتو بوقا نويان: من قبيلة نايمان، ويعد من أشهر قواد هولاكو، قائد ١٢ ألف جندي، كانت بدايته عند وصول المغول إلى خراسان. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٢٣٥.

(٣٣) بن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٦٤؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٣١٣؛ محمد صفا: الحرب، ص٢٩٤.

(٣٤) عبدالولي الشميري: الاستراتيجية العسكرية لعاصفة الصحراء، مطابع ستار برس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٠؛ يوسف نصرة الله: استراتيجية الظاهر بيبرس، ص٦٠.

(٣٥) الاستطلاع: واجب يتخذ بواسطة الرصد البصري للحصول على المعلومات عن فعاليات العدو أو العدو المحتمل. سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص٣٠.

(٣٦) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٦٤؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج١، ص٣١٢؛ إبراهيم العلائي (ابن دقماق): نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طباره، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٢٦٣؛ السلوك: ج١، ص٥١٥؛ عبدالله الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص١١٥.

(٣٧) عبدالسلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٢ -١٣؛ الغامدي: جهاد المماليك ضد المغول، ص١١٦.

(٣٨) الدوادار: زبدة الفكرة، ص٥٠؛ موسى اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٦؛ المقريزي: السلوك: ج١، ص٥١٦؛ يوسف نصرة الله محمد: استراتيجية الظاهر بيبرس، ص٦٢.

(٣٩) بايدر: أمير وقائد حامية المغول في غزة تحت إمرة كتيو بوقا. الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١٣.

(٤٠) غزّة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان، وكانت تقع على أبرز الطرق التجارية في العالم القديم. وهي الآن من مدن فلسطين على بعد ٧٨كم عن مدينة القدس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٢؛ مسعود الخوند: الموسوعة الجغرافية التاريخية، مؤسسة هانياد، بيروت، ١٩٩٧م، ج١٤، ص٢٢١.

(٤١) نهر العاصي: اسم نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس مخرجه من بحيرة قدس ومصبه في البحر الأبيض المتوسط، وقيل إنما سمي بالعاصي لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٤، ص٦٧.

(٤٢) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٦٤؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٦.

(٤٣) الكمين: عبارة عن مصيدة تستطيع القطاعات القائمة به والمتخفية بصورة جيدة إيقاع أكبر الخسائر وتدمير العدو بهجوم مباغت. سامي عوض: المصطلحات العسكرية، ص٤٠٩.

(٤٤) عكا: مدينة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، واسمها يعني الرملة التي حميت عليها الشمس، وهي من أهم المراكز الصناعية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٤٣؛ يحيى شامي:

موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٠٢.

(٤٥) الأحراش: نبات يكثر في السهول، وترتفع قصبتها أحيانًا. محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، تحقيق عبدالله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج٢، ص٢٧٩.

(٤٦) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٦٤؛ الهمذاني: جامع التواريخ، ج٢، ص٣١٣؛ ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ص٢٦٣؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٦.

(٤٧) الالتحام: فهو من التحم للقتال، أي اشتبك واختلط و(الملحمة) القتال، ويقال التحم الجيشان اشتبكا واختلطا، وهو تصادم حقيقي مع العدو بمقياس أقل من المعركة. أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، (د.م)، (د.ت)،ج٢، ص٥٥١؛ عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص٤٤.

(٤٨) الاستدراج: إغراء العدو على الملاحقة لإيقاعه بمصائد معدة مسبقًا وإظهار ما ليس بحقيقي للطرف الآخر. منير شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن الحرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٤٢٩ هـ، ص١٢٨.

(٤٩) الانسحاب: مناورة تفصل القوة من قوة العدو طبقًا لرغبة القائد. عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص٧٠.

(٥٠) حرب الاستنزاف: قتال مستديم الغاية منه إضعاف وتدمير أفراد العدو. ويكون الإنهاك أو الاستنزاف عن طريق هدر طاقة أفراد الجيش المعادي بالاستدراج أو المطاردة أو السير لمسافات طويلة، وهدر مواد تموينه وأسلحته عن طريق تأخير الالتحام معه بالمراوغة أو الانسحاب إلى مناطق بعيدة أو محددة. السلوم: معجم المصطلحات العسكرية، ص٧٤.

(٥١) التطويق: مناورة تقوم بها القوات العسكرية بالإحاطة من الجناحين ثم توجه الضربات على أجناب العدو، أو كامل الجيش. والتطويق له تأثير في دفاعات العدو أو احتياطاته. عوض: المصطلحات العسكرية، ص١١٥.

(٥٢) الاشتباك: هو النشاط الحربي بمعناه الحقيقي، والاشتباك يعني القتال، وهدف القتال هو إبادة العدو أو السيطرة عليه سيطرة كاملة. كارل فون كلاوزفيتز: الوجيز في الحرب، ص٢٣٠.

(٥٣) احتياط: دفع وحدات من عناصر الجيش في الحالة القصوى. عوض: معجم المصطلحات العسكرية، ص٩.

(٥٤) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٦٥.

(٥٥) استراتيجية الإبادة بالمعارك المتعاقبة: تهدف إلى القضاء التام في أقصر وقت على كل مقاومة للعدو، وهي تعرف أيضًا باستراتيجية التدمير، ولا تستهدف احتلال الأراضي وإنما تدمير الجيوش بجملتها، ولها نظريتان؛ نظرية الحرب الصاعقة ونظرية المعارك المتعاقبة. محمد صفا: الحرب، ص١٣٨.

(٥٦) بيسان: مدينة صغيرة بالغور الشامي، تبعد عن عين جالوت (٢٠كم) من جهة الشمال الشرقي. ياقوت

الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٧؛ شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٩٥.

(٥٧) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص٦٥؛ أحمد بن يحيى بن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، تحقيق: دوروتيا كرافولسي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٧ه، ج٢٧، ص٣٨٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٢١.

(٥٨) حمص: بلد مشهور قديم كبير، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، وتقع على نهر العاصي في الجزء الغربي من وسط سورية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٢؛ مسعود الخوند: الموسوعة الجغرافية التاريخية، ج١٠، ص٢٨٥.

(٥٩) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٧.

(٦٠) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، تقع في الشمال الغربي من سوري. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٢؛ الخوند: الموسوعة الجغرافية التاريخية، ج١٠، ص٢٧٥.

(٦١) حارم: بكسر الراء حصن حصين وهي من أعمال حلب. وحالياً تبعد (٦٥كم) عن مدينة إدلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥؛ الخوند: الموسوعة الجغرافية التاريخية، ج١٠، ص٢٧٥.

(٦٢) الإبادة حتى النهاية: يعني استغلال النجاحات بالحيوية والأمان والإخلاص؛ للقضاء على كل مقاومة قائمة أو محتملة للخصم، وتدميره تدميرًا كاملاً. محمد صفا: الحرب، ص٣٦٤.

(٦٣) أبو شامة: الذيل على الروضتين ص٢٠٧؛ ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص٦٤ -٦٥؛ الدوادار: زبدة الفكرة، ص٥٠؛ الوينيني: ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٣٥؛ إسماعيل بن علي أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٣، ص٢٠٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٦ -٥١٧.

(٦٤) المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٥.

(٦٥) المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٦.

(٦٦) المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٦.

(٦٧) تبريز: مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجصّ، وفي وسطها عدة أنهار جارية، وهي من أهم المدن في إيران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢؛ العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص١٦١.

(٦٨) القبيلة الذهبية: القفجاق (القبشاق) golden horde. لحقت هذه التسمية بالمغول الذين سكنوا البلاد التي أعطاها جنكيز خان لابنه الأكبر جوشي، الذي أسلم فيما بعد وتسمى ببركة خان. وتمتد حدود القبيلة من سهول جنوب روسيا وأقصى غرب آسيا وسيبيريا فيما بين نهر آتش حتى السواحل الجنوبية

لبحر قزوين. وسُمى هؤلاء باسم القبيلة الذهبية؛ لأن خيام معسكراتهم كانت ذات لون ذهبي. الدوادار: زبدة الفكرة، ص٩٩.

(٦٩) بركة خان: هو بركة بن توشي بن جنكز خان النغلي، ملك القبجاق وصحراء سوراق (القبيلة الذهبية) -هو ابن عم هولاكو - أسلم، وكاتب الظاهر بيبرس، توفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٣، ص٣٤٩.

(٧٠) الملك الأشرف خليل: (٦٨٩–٦٩٢هـ) خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ. هو الذي قضى على آخر معاقل الفرنج في بلاد الشام. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٣.

(٧١) طرطوس: بلد بالشام مشرفة على البحر المتوسط قرب المرقب وعكّا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠؛ العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص٣٢٨.

(٧٢) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن، وتقع في وسط جنوب تركيا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧؛ العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص٤٥٥.

(٧٣) الصاوي محمد الصاوي: قطز قاهر التتار، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠١٢م، ص٢١٢.

(٧٤) الصاوي: قطز قاهر التتار، ص٢١٣.

(٧٥) المقريزي: السلوك، ج١، ص٥١٨.